الدرس الثاني: الدلالة عند علماء العرب: النحاة واللغويون وعلماء الأصول

تمهيد

ارتبط الدرس الدلالي في التراث العربي بالدراسات القرآنية، من خلال محاولة علماء التراث دراسة اللغة خدمة للقرآن الكريم، ومحاولة فهم معانيه، واستقراء الأحكام الشرعية واستنباطها، وتنوعت الدراسات بتعدد مرجعيات علمائنا الفكرية والعلمية، فارتبطت الدلالة بالدرس الفقهي عند علماء الأصول، وبالمنطق عند الفلاسفة، وباللغة عند النحاة. وكان لهذا التنوع أثره في ثراء الموروث العربي بالمسائل الدلالية التي تتقاطع في جانب كبير مع مباحث علم الدلالة الحديث.

1. الدلالة عند اللغويين

أ - أبو الفتح عثمان بن جني(320هـ-392هـ): في كتاب الخصائص

من أهم المسائل الدلالية التي تناولها ابن جنّي: نشأة اللغة، علاقة اللفظ بالمعنى، وأصول الاشتقاق بأقسامه، ومناسبة الألفاظ للمعاني وقد تناول مسألة العلاقة بين اللفظ والمعنى من ثلاثة جوانب:

- **تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني**، يقول:"هذا فصل من العربية كثير المنفعة، قوي الدلالة على شرف هذه اللغة، وذلك أن نجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل اسم منها؛ فتجده مفضي المعنى إلى معنى صاحبه " وفي هذا القول إشارة إلى وجود الترادف في اللغة من وجهة نظره التي تبناها.
- **تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني**: وفي هذا الباب بيّن تقارب الدلالات لتقارب حروف الألفاظ من حيث المخارج، ومثاله شرحه للفظ "أزا" الوارد ذكره في قوله تعالى:﴿**ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا**﴾ **(مريم83)** يقول أبو الفتح: "أي: تزعجهم وتقلقهم فهذا في معنى تهزهم هزا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين. وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهز؛ لأنك قد تهز ما لا بال له، كالجذع وساق الشجرة، ونحو ذلك."[1]

وعليه تصاقب الألفاظ في النطق، وهو تقارب الألفاظ في أصواتها، بحيث يوحي ذلك التقارب بعلاقة بين المعنيين. **مثال ذلك: القريب والقرب/ / الكبير والكبر/ الحسن والحسنى.**

وتصاقب الألفاظ في التركيب، وهو تقارب الألفاظ في تركيبها، بحيث يوحي ذلك التقارب بعلاقة بين المعنيين. مثال ذلك: **/ الضياء والضوء، ، الفرح والسرور، العلم والحكمة**

- **باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني**: في هذا الباب أشار إلى العلاقة الطبيعية بين الأصوات ومدلولاتها، وكذا أبنية الكلمات وما تتحمله من دلالة طبيعية، مثال: قوله تعالى: ((**وَلَهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**))(البقرة: 115). في هذه الآية، نجد تقاربًا بين الألفاظ "المشرق" و "المغرب" في النطق، حيث تبدأ كلاهما بحرف الميم ومخرجهما واحد. كما نجد تقاربًا في المعنى، حيث يشير كلاهما إلى مكان طلوع الشمس وغروبها، أي إلى بداية اليوم ونهايته.[2]

وقد قسم ابن جني أنواع الدلالة إلى ثلاثة أنواع: تحت ما سماه دلالة الفعل،

الأول: الدلالة اللفظية: ويجمع هذا النوع بين ما يصطلح عليه في الدرس الدلالي الحديث بالدلالة الصوتية والدلالة المعجمية.

الثاني: الدلالة الصناعية : و يقصد به الدلالة الصرفية.

أما النوع الثالث فهو الدلالة المعنوية: ويقابلها حديثا الدلالة النحوية. وقد تحدث ابن جني كذلك عن الحقيقة والمجاز، وفرق بين الحقيقة والمجاز في الباب الأول على أساس الوضع، وعليه إن مصنفات ابن جني كانت ثرية بالدرس الدلالي، فقد تقاطعت المسائل التي تناولها بمباحث علم الدلالة.

ب -الشريف الجرجاني(ت 816هـ): في كتاب التعريفات

يقول الجرجاني في كتاب التعريفات عند الحديث عن تعريف الدلالة من منطلق الثقافة الأصولية: هي كون الشيء بحاله يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، **والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول،** وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص وإشارة النص واقتضاء النص ،وعلى هذا فهو يقسمها إلى قسمين: الدلالة اللفظية والدلالة غير اللفظية.[3]

من خلال طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول، أحصى الجرجاني منها ثلاثة مستويات صورية تنتج عنها ثلاث دلالات[4]: **دلالة العبارة ـ دلالة الإشارة - دلالة الاقتضاء.**

-دلالة العبارة :هي دلالة اللفظ على معناه الموضوع له في اللغة، وهي أقوى أنواع الدلالة، وأكثرها وضوحًا وقطعًا. مثال: "الكتاب" يدل على المجلد الورقي الذي يكتب فيه/ "الرجل" يدل على "الذكر البالغ من بني آدم."

-دلالة الإشارة : هي دلالة اللفظ على معنى غير مقصود بالوضع اللغوي، ولكنه لازم للمعنى المقصود، ويحتاج إلى شيء من التدبر والاستدلال. مثال: "الكتاب" يدل على "المعلم"؛ لأن الكتاب هو وسيلة التعليم. / "الرجل" يدل على "الزوج"؛ لأن الرجل هو عادة من يتزوج المرأة.

-**دلالة الاقتضاء** : هي دلالة اللفظ على معنى مسكوت عنه، يتوقف صدق الكلام على تقديره، أو لا يستقيم المعنى إلا به. مثال: قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾ (الإسراء: 32).

فدلالته الصريحة هي النهي عن الزنا، أما دلالة الاقتضاء فهي تحريم مقدمات الزنا، مثل النظر المحرم، والخلوة بالأجنبية، والخلوة بالزوجة في غير الجماع.

2 الدلالة عند علماء الأصول

أ- محمد بن إدريس الشافعي: (150هـ-204هـ):

يعتبر الشافعي أول من وضع أبواب أصول الفقه في كتابه "الرسالة" الذي وضع فيه قواعد لفهم النصوص القرآنية وتحديد دلالتها، ولأنّ الغاية كانت المعنى، ارتبطت جهوده بكيفية تحصيل المعنى، ومن المسائل التي أثارها: -اتفاق العبارات لا يعني اتفاق المدلولات بمعنى: يمكن أن تكون العبارات متشابهة في الشكل دون أن تكون متشابهة في المعنى. مثال: الماء سائل ، الماء صلب...، وقد أثبت ذلك في توضيحه وكشفه لأسرار البلاغة في الحديث الشريف-.**أشار الشافعي إلى ضرورة تسييق اللفظ من أجل تحديد دلالته،** وهذا ما نادت به النظرية السياقية. يقول الشافعي: «تبتدئ الشيء يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله» . وتأكيدا لذلك وضع الإمام عنوانا لباب سماه: الصنف الذي يبين سياقه معناه.

-**تناول الشافعي مسألة الترادف** في اللغة وقد أثبته في معرض بحثه عن دلالة لفظ "شطر" الوارد ذكره في قوله تعالى مخاطباً نبيه -عليه الصلاة والسلام-: ((**ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام**)) **البقرة/149** ، لقد أحصى الشافعي ألفاظاً تناظر لفظ "شطر" في الدلالة منها: وجهة - قصد - تلقاء.ثم قال: "وكلها بمعنى واحد وإن كانت بألفاظ مختلفة" ، وموضوع الترادف يعد من مباحث الدرس الدلالي الحديث،

-كما **تناول مسألة المشترك اللفظي** : المشترك اللفظي هو اللفظ الذي يطلق على أكثر من معنى، ويختلف عن اللفظ المنفرد الذي يطلق على معنى واحد فقط. مثال:

العين: يمكن أن تشير إلى عضو البصر، أو إلى منبع الماء، أو إلى المطر.

القلب: يمكن أن تشير إلى عضو القلب في جسم الإنسان، أو إلى مركز المشاعر والأفكار.

العلم: يمكن أن يشير إلى المعرفة، أو إلى العلم الشرعي، أو إلى العلم التجريبي.

ب-علم الدلالة عند الآمدي (ت631 هـ) في (الإحكام في أصول الأحكام)

يعد الآمدي من أهم علماء الأصول في التراث الإسلامي، وقد حظي كتابه "الإحكام في أصول الأحكام" باهتمام كبير من العلماء، حيث يعد من أهم الكتب الأصولية التي تناولت علم الدلالة.

يُعرّف الآمدي الدلالة بأنها: "التعلق بين اللفظ والمعنى بحيث يفهم المراد من اللفظ من غير حاجة إلى غيرها." ، وعليه، فإن الدلالة عند الآمدي هي علاقة بين اللفظ والمعنى، بحيث يفهم المراد من اللفظ من خلال تلك العلاقة، دون الحاجة إلى أي وسيلة أخرى. وقد قسم الآمدي الدلالة إلى قسمين رئيسيين:

-الدلالة اللغوية :وهي الدلالة التي تنشأ من وضع اللفظ للمعنى، وتتكون من قسمين:

-الدلالة الصريحة: وهي الدلالة التي تدل فيها الألفاظ على معانيها من غير تردد، مثل: "الرجل" يدل على الذكر البالغ.

-الدلالة الضمنية: وهي الدلالة التي تدل فيها الألفاظ على معانيها من خلال قرائن ودلالات، مثل: "الرجل" يدل على الإنسان من خلال قرينة سياقية.

-الدلالة الشرعية :وهي الدلالة التي تنشأ من الشرع ومنها:

-الدلالة التشريعية: وهي الدلالة التي يدل فيها النص الشرعي على حكم شرعي، مثل: قوله تعالى: ((**وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**)) [النساء: 24] يدل على تحريم نكاح المحصنات إلا من ملكت أيمانهم.

3-الدلالة عند النحويين

أ- سيبويه(ت180ه)

حدّد سيبويه مصطلحان نحويان تراثيان هما **مصطلحا الاستقامة والاستحالة** ،فاالاستقامة هي سلامة الكلام وخلوه من التناقضات، بحيث يكون اللفظ مطابقاً للمعنى، والمعنى مطابقاً للواقع. مثال: ذهبت إلى الجامعة أمس/ "هذا الكتاب مفيد."

الاستحالة :هي الكلام الذي لا يمكن أن يكون صحيحاً في الواقع، سواء كان ذلك بسبب تناقضه مع نفسه، أو تناقضه مع الواقع الخارجي. مثال: الماء نار، شربت ماء البحر

أنواع الكلام من حيث الاستقامة والاستحالة:

الكلام المستقيم الحسن :هو الكلام الذي لا تناقض فيه، ولا يخالف الواقع، وهو الكلام الذي يكون صحيحاً في نفسه، وفي علاقته بالواقع. مثال: أتيتك أمس وسآتيك غدا

الكلام المستقيم القبيح :هو الكلام الذي لا تناقض فيه، ولكنه يخالف الذوق العام، أو القواعد النحوية مثل: قد زيدا رأيت.

الكلام المحال :هو الكلام الذي يناقض نفسه، أو يناقض الواقع، وهو الكلام الذي لا يمكن أن يكون صحيحاً أبداً. مثال: سوف أشرب ماء البحر أمس.

ب- **الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175ه)**

أفاد الدارسين العرب في مباحث معجمه الأصيل (العين) حين بحث في تراكيب الكلمات من مواردها الأولية في الجذر البنيوي ، الحرفي ، ومن ثم تقسيمه على ما يحتمله من ألفاظ مستعملة ، وأخرى مهملة لدى تقلب الحرف في التركيب لتعود ألفاظ بداية ونهاية طردا وعكسا ، ومن ثم إيجاد القدر الجامع بين المستعمل منها في الدلالة. والمهمل دون استعمال. وقد كان الخليل هو الرائد الأول لهذا الباب دون الخوض في التفصيلات للبحث الدلالي كما يفهم في لغة التحديث ، لأن مهمته كانت لغوية إحصائية ولكنها على كل حال تشير إلى دلالة الألفاظ كما يفهمها المعاصرون عن قصد أو غير قصد ، وهو إلى القصد أقرب وبه ألصق لما تميز به الخليل من عبقرية ولما اتسمت به بحوثه من أصالة وابتكار.

الهوامـــــــــــش

1. ابن جني ، أبو الفتح عثمان، الخصائص،دط، دار الكتب العلمية، بيروت ص:148.
2. .الخصائص ص149
3. عبد الجليل، منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ص39
4. . الجرجاني، علي بن محمد، معجم التعريفات، دار الفضيلة، 2004 الطبعة الأولى، ص92